باب

فى الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجُلُ عليه

الاشراف وسلامهم وقعودهم وانصرافهم

إن كان الداخلُ من الاشراف والطبقة العالية، فمن حقّ الملك أن يقف منه[1] بالموضع الذى لاينأى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلّم عليه قائما. فإن آستدناه. قَرُب منه فأكبّ على أطرافه يُقبّلها. ثم تنحّى عنه قائمًا حتّى يقف فى مرتبة مِثله. فإن أَوْمَأَ إليه بالقعود، قعد؛ فإنْ كلّمه، أجابه بانخفاض صوتٍ وقلّة حركةٍ. وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكّن به مجلسُه بغير تسليمٍ ثانٍ ولا آنتظارِ أمرٍ.

الاوساط سلامهم وقعودهم وانصرافهم

وإن كان الداخلُ من الطبقة الوُسطى فمن حَقّ الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائيًا عنه. فإن آستدناه، دنا خُطًى ثلاثًا أونحوها. ثم وقف أيضا. فإن آستدناه. دنا نحوًا من دُنوّه الأوّل، ولا ينظر إلى تعب الملك فى إشارةٍ أو تحريك جارحةٍ[2]. فإنّ ذلك، وإن كان فيه على الملك مُعاناةٌ، فهو من حقّه وتعظيمه.

وإن كان دخوله عليه من الباب الأوّل[3] يقابل وجهَ الملك ويحاذيه ـ وكان له طريقٌ عن يمينه أو شِماله ـ عَدَلَ نحو الطريق الذى لايقابله فيه بوجهه ثم آنحرف[4] نحو مجلس الملك. فسلّم قائمًا ملاحظًا للملك. فإن سكت عنه، آنصرف راجعًا من غير سلامٍ

(١) أى الداخل.

(٢) صـ: لفت.

(٣) هكذا فى سـ، صـ. والمعنى واضح فى أن الدخول يكون من أوّل باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نر وجها لزيادة لفظ "الذى" أو وضعه مكان "الأوّل".

(٤) صـ: عن.

ولا كلام. وإن استدناه، دنا خُطًى وهو مُطْرِقٌ ثم رفع رأسه. فإن استدناه، دنا خُطًى (٧)
أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارةٍ أو حركةٍ، وقف (فى ذلك الموضع
الذى يقطع الملكُ فيه إشارتَه) قائمًا. فإن أومأ إليه بالقعود، قعد مُقْعِيًا[1] أو جاثيا.
فإن كلّمه، أجابه بانخفاضِ صوتٍ وقلّة حركة وحُسن استماع. فإذا قطع الملك كلامَه،
قام فرجع القَهْقَرىٰ. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدارٍ أو سلكٍ لايحاذيه ٥
إذا ولّى، مشىٰ كيف شاء.

استقبالُ الملك للوارين له وتشييعُهم

وعلىٰ الملك ـ إذا دخل عليه من يساويه فى السلطان والتَّبَع والعزّ والولادة
والبيت ـ أن يقوم فيخطو إليه خُطًى ويعانقه، ويأخذ بيده فيُقعِده فى مجلسه
ويجلس دونه. لأنّ هذه حالٌ يحتاج الملك إلىٰ مثلها من الداخل عليه، إذا زاره.
فإن بَخَسَه حظَّه ومَنَعَه مايجب له، لم يَأْمَنِ الملكُ أن يَفْعَلَ به مِثْلَ ذلك. ومتىٰ ١٠
فعل كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه ماهو خارجٌ عن النواميس والشرائع[2]، تولّد من ذلك
فسادٌ وحدثتْ ضغائنُ بين الملوك يقع بسببها التباغُض والتعادى والتحاسُد. وإذا (٨)
اجتمع ذلك فى المملكة، كان سببًا للبوار وداعيةً إلىٰ التحارب.

وعلىٰ الملك ـ إذا أراد هذا الذى قدّمنا صفتَهُ الانصرافَ ـ أن يقوم معه إذا
قام، ويدعو بدابّته ليركب حيث يراه، ويشيّعه ماشيا قبل ركوبه خُطًى يسيرةً، ١٥
ويأمر حشمه[3] بالسعْى بين يديه.

(١) س : "مُقنعا" بدون إيراد "جاثيا" التى تليها. وأقنع الرجُل رأسه نصبه أو لا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طَرْفَه موازيا. (قاموس). [وانظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) صـ : الشريعة.

(٣) صـ : خدمه. ٢٠

وعلىٰ هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم. وبهذه السياسة أخذهم أردشير بن بابك. فلم تَزَلْ فيهم حتى مَلَكَ كِسْرىٰ أبرويزُ فغيّرها. فكان مما آعتدَّ عليه شيرويه، آبنه، فى ذكر مثالبه ومعايبه.(١)

وقد قلنا إن من حقّ الملك أنْ لايُطيلَ أحدٌ عنده القعود. فإنْ أخطأ مخطئٌ فى ذلك، فَمِنْ إذْنِ الملك له بالآنصراف أنْ يلحظه.(٢) فإذا عَرَفَ ذلك فلم يَقُمْ، كان ممن يحتاج إلىٰ أدبٍ، وكان الذى وصَّله بالملك ظالمًا له ولنفسه.

(١) أبرويز هذا كاتَبَهُ النبيُّ يدعوه للإسلام فمزّق كتابه وقال: "يكتبُ لى هذا، وهو عبدى؟" فدعا عليه النبيّ بتمزيق ملكه. إستبدَّ بفارس فوثب عليه آبنه شيرويه (وهو أيضا شيرى) فحبسه وأرسل إليه يَنعىٰ عليه ماآرتكبه من المثالب والمعايب فى رسالة "خشنة يقطر منها الدم فى تقريعه بأفاعيله" ثم قتله. وأرسل شيرويه بعد أن جلس على سرير الملك كتابا إلى النبيّ فى جملته: "أما بعد فإنى قتلتُ كسرىٰ، ولم أقتله إلّا غضبًا لفارسَ لِمَا كان آستحلّ من قتل أشرافهم وتجميرهم فى ثغورهم" [وتجميرالعساكر حبسهم فى أرض العدوّ وعدم إرجاعهم إلىٰ وطنهم]. هذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبيه سوى ستة أشهر فات بعلّة أفاض المؤرّخون فى وصفها.

ومن غريب الآتفاقات التى لاحظها كتّاب العرب أن الملك الذى يقتل أباه لايمضى عليه فى الملك سوى ستة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموىّ، وكما حصل للمنتصر العباسىّ.

ومن غريب الآتفاقات أيضا أن المنتصر هذا قتل أباه المتوكل فى نفس الموضع المعروف بالماخورة الذى قتل فيه شيرويه أباه كسرىٰ أبرويز، وأن المنتصر جلس فى بعض الأيّام على بساط فاخر مزدان بالنقوش. ومن جملة مافيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحتها ماتعريبه: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز الملك. ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضا صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومكتوبٌ عليها ماتعريبه: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل آبن عمه الوليد. ملك ستة أشهر". وقد أمر بعضُ المقرّبين بإحراق هذا البساط النفيس حتى لاينفطن الخليفة لمافيه من العبرة، ولكن أبىٰ الله إلّا أن يكون ثالث الثلاثة. (التفاصيل فى "غرر أخبار الفرس" ص ٧١٢ — ٧٣٨؛ والطبرىّ سلسلة ١ ص ١٠٤٣، ١٠٦١، ١٥٧٤ وسلسلة ٣ ص ٤٩٦؛ وآبن الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والمسعودىّ ج ٧ ص ٢٩٣ وما يليها؛ وفى "المحاسن والمساوى" ص ٥٩٢ — ٥٩٣). وفيه أيضا أن أبرويز آنتقم لنفسه قبل أن يموت فوضع سُمًّا فى حقة وكتب عليها مايغرى الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رآها شيرويه تعاطى منها فكانت علته التى أعقبها هلاكه (ص ١٣٨) [وآنظر ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) فى سـ، صـ: "فمن اذن له الملك بالانصراف أن يلحظه". وقد صححتُ الرواية ليستقيم الكلام.